الموضوع الرابع والعشرون

حديث سالم مولى أبى حذيفة

الجزء الأول

عن عبد الرحمن بن سابط، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: استبطأنى رسول الله ذات ليلة، فقال: ما حبسك؟ قلت: إن فى المسجد لأحسن من سمعت صوتًا بالقرآن، فأخذ رداءه، وخرج يسمعه، فإذا هو سالم مولى أبى حذيفة، فقال: «الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك».

[أخرجه أحمد (٦/ ١٦٥) وقال: إسناده جيد]

سالم هذا رجل معروف بالصلاح، وله قصة طويلة، فكل اسم يمر علينا قصة فى حد ذاته، فسالم كان من المفترض أن يسمى سالم بن فلان بدلاً من مولى أبى حذيفة بعد إبطال التبنى، فنسب إلى سيده أو إلى صاحبه وهو أبو حذيفة فصار اسمه سالم مولى أبى حذيفة، زيد بن حارثة معروف؛ لأن زيدًا عربى، ومن قبيلة عربية، وأتى النبى ﷺ وهو كبير، سالم مولى أبى حذيفة كان من أشد الناس فرحاً بالقرآن وتلاوته حتى إن النبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) قال: هذا سالم (معروف أى ليس نكرة) فلم يقل: من هو ؟ لا، ولكن عندما استمع لصوته فقال (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام): هذا سالم مولى أبى حذيفة، أى الذى يعمل عند أبى حذيفة فيكون مولى من الموالى، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله (إشارة إلى أنه عظيم، النبى الكريم ﷺ

عندما يقول هذا إشارة إلى أن سالمًا ﷺ أعطاه الله تعالى فضلاً كبيرًا ونعمة كبيرة فى التغنى بالقرآن وترتيله، بحيث أنه جعل السيدة عائشة تبطئ ليلاً عن الذهاب إلى سيدنا محمد ﷺ .

لماذا يا عائشة؟ لأن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها هى الأخرى كانت متعلقة بالقرآن فسمعت صوتًا جميلاً ؟ فوقفت تستمع، وتستمع، وتستمع، لكى تشبع بالقرآن، اشبع قرآنًا، اشبع نورًا، اشبع هداية، اشبع مع الله .

فوقفت السيدة عائشة تستمع إليه - رضى الله تعالى عنها - وهى لا تعرفه فلما ذهبت إلى النبى العظيم ﷺ قال لها: ما حبسك؟ ما أخرك؟ أين كنت؟ ما الذى أبطأك عنى؟ انظروا إلى بلاغته وجميل كلامه، فقالت: «يا رسول الله كنت أستمع إلى رجل يقرأ القرآن ما سمعت صوتًا أحسن منه». إن التى قالت هذا هى السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها، وهى مشهود لها بالرجاحة، مشهود لها بالفطنة، ومشهود لها بحدة بالذكاء ليس كذكاء أى امرأة إنما كان ذكاءً فطريًا نابعًا من فطنة أبيها، ومن حبها للحبيب (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام)، فالسيدة عائشة أثنت على سالم مولى أبى حذيفة، فقالت: ما سمعت صوتًا أحسن منه. فلما جاء النبى ﷺ واستمع إلى سالم فقال لها: «هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله»، أى ناس ربانيون يتعايشون فى حب رب العالمين، يريدون أن يُسمعوا الناس به غضًا طريًا، يمتعون به القلوب، وينعشون به الآمال. هذا شىء عظيم أن تكون مثل سالم مولى أبى حذيفة، تحب القرآن، وترتفع بالقرآن، وتحفظ أولادك القرآن، وتنور بيتك وصدرك بالقرآن، وأن تدخل فى إطار المعية، وفى إطار التكريم الذى نحيا به، والذى نحيا معه .

إن سالمًا هذا كان من الموالى الذين أسروا فى الحرب، ولقد أسر وهو صغير وهو طفل محمول لا يعرفون نسبه فنسب إلى سيده أو إلى صاحبه، وهو أبو حذيفة فصار اسمه سالم مولى أبى حذيفة .

اللهم اجعلنا من الذين حفظوا للقرآن الكريم حرمته لما حفظوه، وعظموا منزلته لما سمعوه، وتأدبوا بآدابه لما حضروه، وأحسنوا جواره لما جاوروه، والتزموا حكمه وما فارقوه، وأرادوا بتلاوته وجهك الكريم والدار الآخرة، فقبلت منهم وأورثتهم الدار الآخرة. اللهم انفعنا بالقرآن الكريم الذى رفعت مكانه، وأيدت سلطانه، وجعلت الفصيحة العربية لسانه، فقلت يا أعز من قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾

اللهم وأوجب لنا الشرف والمزيد، وألحقنا بكل بر سعيد، واستعملنا بالعمل الصالح الرشيد، إنك أنت الحميد المجيد .

اللهم وكما جعلتنا به مصدقين ولما فيه محققين، فاجعلنا يا الله بتلاوته منتفعين، وإلى لذيذ خطابه مستمعين، ولأوامره خاضعين وبأمثاله معتبرين وعند ختمه من الفائزين .

حديث سالم مولى أبى حذيفة

الجزء الثانى

سأعيد عليكم حديث سالم مولى أبى حذيفة، وهذا الذى دارت عليه مشكلة وهى قضية إرضاع الكبير؛ ولذلك اخترته كى نعرف من هو سالم الذى سن رسول الله به تشريعًا خاصًّا وليس تشريعًا عامًّا. وإن شاء الله سنميز لكم بين ما هو خاص من الأحكام وبين ما هو عام، وما هو الفرق؟ وما هو معيار الخصوصية؟ ومعيار العمومية فى الشريعة الإسلامية، قضايا جميلة وممتعة ومشبعة .

إن النبى ﷺ قال: «استقرئوا القرآن من أربعة، وذكر من هؤلاء الأربعة وهم أُبىّ بن كعب، وسالم مولى أبى حذيفة، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل» [أخرجه البخارى فى صحيحه (٣/ ١٣٨٥) رقم (٣٥٩٥)]. رضى الله تعالى عن أصحاب النبى ﷺ.

لأجل سالم مولى أبى حذيفة ومحبة رسول الله ﷺ ولأجل القضية التى أثيرت فى الآونة الأخيرة، وكأن الناس كانوا يتلقفون شخصا يقول فتوى عجيبة أو غريبة، فتنصب له المذابح، وتنشغل الصحف بهذه الفتوى، وكل يكتب بقلمه وطريقته، وكثير من الذين كتبوا وهاجموا، لا يستطيعون أن يقرءوا الفاتحة قراءة صحيحة، وليس هذا هو الموضوع، إنما الموضوع أن هناك فرقًا بين من يتكلم عن الإسلام وانتصارًا للإسلام وحبًا له؛ لأنه يحب رب العالمين، ويحب سيدنا النبى ﷺ، وهناك من يكتب ويهاجم من باب الشماتة، وهذا الذى وجدنا فيه كثيرًا من الناس الذين لا صلة لهم بالدين طيلة حياتهم، منهم من يكتب فى السياسة، يكتب فى الرياضة فإذا به يكتب فى الدين هذا الأسبوع، إن

هذا لشيء عجاب، وقد اعتدنا أن نرى هذه العجائب فلا حرج أن نشاهد، وأن نستمع إلى عجائب كثيرة حتى نموت.

حديث سالم مولى أبى حذيفة سأعيده وأضيف له حديثًا آخر لكى يكون هناك إضافة- لقد ميزت لكم بين حكم التبنى عند زيد بن حارثة، و بين حكم المتابعة عند سالم، ولماذا لم يقل سالم بن أبى حذيفة وقيل: زيد بن حارثة، لقد ميزت وشرحت هذه القاعدة الشرعية بالجزء الأول، وهى قضية شرعية مهمة جدًا وقد ذكرها الله فى سورة الأحزاب .

الحديث الذى معنا ورد فى سنن أبى داود عن السيدة عائشة (ورجال إسناده ثقات). «كان النبى ﷺ ينتظر السيدة عائشة - رضى الله عنها - بعد صلاة العشاء فأبطأت عليه، فقال ﷺ: ما حبسك؟ (أى ما الذى أخرك يا عائشة؟) فقالت: يا رسول الله كنت أستمع إلى قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتًا منه فقام ﷺ حتى استمع إليه طويلاً فقال ﷺ: هذا سالم الذى استمعت إليه يا عائشة شخص من أمتى، هذا سالم مولى أبى حذيفة، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله»، أى مثل سالم مولى أبى حذيفة الذى تميز بصوته الندى، وبصوته الجميل فى خدمة القرآن العظيم .

السيدة عائشة - رضى الله عنها - تقول: ما سمعت صوتًا أحسن منه أى من سالم والنبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) يعتز به .

هذا الحديث يسمى بحديث السيدة عائشة أو حديث سالم مولى أبى حذيفة الذى تكرر اسمه هنا فى هذا الحديث إشارة إلى كونه قرآنيًا، ورجلاً يختم القرآن، ويعيش حياته كلها فى خدمة القرآن الكريم، وهذا أفضل شيء لك أيها المسلم فى هذه الحياة أن تكون من أهل القرآن الذين هم أهل الله تعالى وخاصتهم .

من هنا عرفنا من هو سالم الذى كان من الموالى الذين يساعدون الناس فى بيوتهم، وأبو حذيفة هذا معروف أنه من أصحاب النبى العظيم ﷺ ولم يقولوا

سالم ابن أبى حذيفة، ولأنه لم يكن منسوبًا له، لم يكن هو والده، ولكن قالوا: زيد بن حارثة بدلاً من زيد بن محمد ﷺ عندما أبطل الله التبنى، فصار الكلام جميلاً، فصار سالم مولى أبى حذيفة أى فلان الذى يشتغل عند فلان يخدمه ولكنه متميز، فليس للناس مقامات فى الدنيا، ولكن على قدر حبهم فى الله «رب أشعث أغبر (أى أحدهم يخدم فى عمارة يكون عند رب العالمين أفضل من أى شخص آخر) لو أقسم على الله لأبره» لا يرد الله تعالى له طلبًا، رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، فليست صفة مولى أبى حذيفة هى إنقاص من قدره، لا نقول: هذا غفير، وهذا وزير، ليس هناك تمايز فى المراتب الدنيوية؛ لأنها كلها زائلة، وإذا بقى المنصب لصاحبه يومًا فإنه لن يبقى له يومًا آخر، فلا يفرح ولا يتفرح بالدنيا كلها، فعلى سبيل المثال: أحد الصالحين تولى ابنه منصبًا كبيرًا فذهبوا إليه وقالوا: مبروك ابنك أصبح وزيرًا ابنك أصبح كذا وكذا فقال لهم: لو بلغنى نعيه لكان خيرًا لى ولكم، إنى خائف عليه من الفتنة، خائف عليه من أن تزل قدماه، خائف عليه من قسوة الحساب؛ لأن المناصب مسئولية كبيرة جسيمة، فلا ينام الإنسان إذا حمل أمانات كبيرة كهذه الأمانات التى يتحملها أهل السلطة سلمهم الله تعالى وأعانهم .

الرجل قال: لو بلغنى نعيه لكان خيرًا لى وخيرًا لكم، لماذا يا رجل ؟ إنى أخشى عليه من الفتنة أن يُفتن أو أن يَفتن وأخشى عليه من الوقوف أمام الجبار، هو سيقف أمام الجبار لكن عندما يقف ومعه حمل صغير غير أن يقف ومعه حمل كبير، ومسئوليات الناس فى رقبته، ومظالم العباد معلقة فيها ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

إنا عرضنا الأمانة - التى ائتمن الله عليها المكلَّفين من امتثال الأوامر واجتناب النواهى- على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن أن لا يقمن بأدائها، وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه، إنه كان شديد الظلم

والجهل لنفسه. أى لا يعرف صعوبة هذه الأمانات، ولا قوة هذه الأمانات، ولا مسئولية هذه الأمانات .

واستمع ﷺ ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ﷺ ومعه أبو بكر ﷺ، أى النبى الكريم كان يستمع، ومعه أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - يستمعان فوقفا طويلاً كى يستمعوا مع النبى ﷺ .

قلت لك: إن السيدة عائشة رضى الله عنها وقفت وأبطأت كى تستمع إلى سالم مولى أبى حذيفة ﷺ، وكذلك النبى ﷺ وصاحباه - رضى الله عنهما - كى يستمعوا إلى عبد الله بن مسعود ﷺ والنبى ﷺ يقول: «من أراد أن يقرأ القرآن غضًا طريًا»، ما (غضًا طريًا)؟ تتفاعل مع القرآن، تعيش مع القرآن، تستشعر أنه تنزل الآن غضًا طريًا أى فيه كمال وفيه حركة كأن جبريل عليه السلام تنزل به الآن، كأنك تعيش مع سيدنا جبريل عليه السلام مرة أخرى .

«من أراد أن يقرأ القرآن غضًا طريًا كما أنزل» كما أنزل مسألة صعبة هى شرط احتراز «فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ».

عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه وأخرجه الإمام أحمد والنسائى من حديث عمر ﷺ والترمذى وابن ماجة عن حديث ابن مسعود رضى الله عن هؤلاء جميعاً وقال الترمذى: حديث حسن صحيح .

الكل وارد أن يخطئ فى القراءة، ولكن الحديث الشريف الذى معنا فيه إضافة عجيبة وهى «كما أُنزل»؛ لأن الذى يقرأ القرآن الكريم كما أنزل هو الذى استمع إليه ﷺ والذى استمع إليه أى بصوت وقلب ولسان جبريل عليه السلام كما فى قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣: ١٩٥] .

أى نزل به جبريل الأمين، فتلاه عليك - أيها الرسول - حتى وعيته بقلبك حِفْظًا وفَهْمًا؛ لتكون مِن رسل الله الذين يخوِّفون قومهم عقاب الله،

فتنذر بهذا التنزيل الإنس والجن أجمعين. نزل به جبريل عليك بلغة عربية واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، فيما يحتاجون إليه فى إصلاح شئون دينهم ودنياهم.

و كما ذكرنا فى نفس السورة (سورة الشعراء) التى عشنا معها فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [٢١٠: ٢١٣].

أى وما تَنَزَّلَتْ بالقرآن على محمد ﷺ الشياطين- كما يزعم الكفرة- ولا يصح منهم ذلك، وما يستطيعونه؛ لأنهم عن استماع القرآن من السماء محجوبون مرجومون بالشهب، فلا تعبد مع الله معبودًا غيره، فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين عبدوا مع الله غيره.

دائماً فى خواتيم السور فى القرآن الكريم تجد أن الله تعالى يجمع المعانى التى جاءت فى السورة كلها .

«من أراد أن يقرأ القرآن غضًا طريًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» أى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد والنسائى والترمذى بإسناد صحيح، «طريًا» أى سهل تشعر فيه بالسهولة، تشعر فيه بالأداء، تشعر فيه بالجمال، «غضًا طريًا كما أنزل»،كما تنزل به جبريل عليه السلام كما تنزل على قلب الحبيب كما تلقاه الحبيب ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة: ١٦- ١٩]، أى لا تحرك - أيها النبى- بالقرآن لسانك حين نزول الوحى؛ لأجل أن تتعجل بحفظه، مخافة أن يتفلَّت منك. إنَّ علينا جَمْعه فى صدرك، ثم إن تقرأه بلسانك متى شئت، فإذا قرأه عليك رسولنا

جبريل فاستمِعْ لقراءته وأنصت له، ثم اقرأه كما أقرأك إياه، ثم إن علينا توضيح ما أشكل عليك فهمه من معانيه وأحكامه.

«من أراد أن يقرأ القرآن غضًا طريًا» هذا حديث اليوم كما أنزل بنفس المعالم، ونفس الوضوح، ونفس القوة كما تلقاه النبى ﷺ و بلغه أصحابه، وكان عبد الله بن مسعود ﷺ، من أعلم الناس بعلوم القرآن، ومعه سالم مولى أبى حذيفة، ومعهم أبى بن كعب ومعهم معاذ بن جبل - رضى الله عنهم أجمعين - فكل شخص فيهم له قصة طويلة .

الإسلام خلق رجالاً، هؤلاء الرجال هم الذين حملوا الرسالة مع رسول الله أى تخيل أن رسول الله ﷺ ليس حوله رجال، لو تخيلت الرسول ﷺ على عظمته ليس معه رجال وتنزل عليه الوحى بهذا النور العظيم الكريم فمن كان سيحمل هذا النور الذى كان فى حاجة إلى قلوب تمشى على الأرض؟! كان فى حاجة إلى أفئدة، كان فى حاجة إلى بصيرة، كان فى حاجة إلى تلق .

فهنا نشأت معية النبى ﷺ كقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]، أى محمد رسول الله ﷺ، والذين معه على دينه أشداء على الكفار، رحماء فيما بينهم، تراهم ركعًا سُجَّدًا لله فى صلاتهم، يرجون ربهم أن يتفضل عليهم، فيدخلهم الجنة، ويرضى عنهم، علامة طاعتهم لله ظاهرة فى وجوههم من أثر السجود والعبادة، هذه صفتهم فى التوراة. وصفتهم فى الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوى واستوى قائمًا على سيقانه جميلا منظره، يعجب الزُّرَّاع؛ ليَغِيظ بهؤلاء المؤمنين فى

كثرتهم، وجمال منظرهم الكفارَ، وفى هذا دليل على كفر من أبغض الصحابة ﷺ؛لأن من غاظه الله بالصحابة، فقد وُجد فى حقه موجِبُ ذاك، وهو الكفر. وعد الله الذين آمنوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثوابًا جزيلا لا ينقطع، وهو الجنة. (ووعد الله حق مصدَّق لا يُخْلَف، وكل من اقتفى أثر الصحابة ﷺ فهو فى حكمهم فى استحقاق المغفرة والأجر العظيم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذى لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، (رضى الله عنهم وأرضاهم).

أى عندما تنزل جبريل بسورة الأنعام فلابد أن تكتب، ولا بد أن تحفظ أى لابد من أن يكون هناك الإمام على بن أبى طالب ﷺ يحفظها من أول مرة، ولابد من أن يكون هناك سالم يحفظها من مرتين وسيدنا عبد الله بن مسعود وهكذا.. جيل يعطى لجيل فكل من يبلغ الرسالة لابد أن يكون معه رجال أى يكون عنده بطارية إيمانية عالية.

قال نبى الله ﷺ: الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله. أى فضل من ربنا أن أمة محمد فيها رجل اسمه سالم مولى أبى حذيفة أى وصل اعتزاز النبى ﷺ بأصحابه إلى أن قال: الحمد لله أن جعل فى أمتى مثله، الحمد لله تعالى أن جعل فى أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معهم كما فى قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

واصبر نفسك - أيها النبى- مع أصحابك مِن فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده، ويدعونه فى الصباح والمساء، يريدون بذلك وجهه، واجلس معهم وخالطهم، ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة التمتع بزينة

الحياة الدنيا، ولا تُطِعْ من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا، وآثَرَ هواه على طاعة مولاه، وصار أمره فى جميع أعماله ضياعًا وهلاكًا.

هذه هى المعية ومن رفضها، ما النتيجة ؟ بعد أن اتبع هواه ولم يتفاعل مع الجماعة، ولم يعش فى كنف رسول الله ﷺ وكان أمره فرطا أى انفرط أمره وضاع حاله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ثم ذكر سبحانه الأنبياء الماضين، وأثنى عليهم بأنهم: الذين يُبَلِّغون رسالاتِ الله إلى الناس، ويخافون الله وحده، ولا يخافون أحدًا سواه، وكفى بالله محاسبًا عباده على جميع أعمالهم ومراقبًا لها.

الرسالة تحتاج إلى رجال والرسالة تحتاج إلى هؤلاء، رجال فى معية الرسول ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾، أى شخص يبلغ الرسالة، ويخرج يتكلم مع الناس يجب أن يتحلى بالخشية ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، بل القرآن آيات بينات واضحة فى الدلالة على الحق يحفظه العلماء، وما يكذِّب بآياتنا ويردها إلا الظالمون المعاندون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه.

العلم يكون له نور، له شرف، له صدر قبل أن يكون له نور فى الذاكرة ليس بشخص يحفظ فقط، ولكن كالذين يبلغون رسالات الله، ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله، ففى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، قل أيها الرسول: أوحى الله إلىَّ أنَّ جماعة من الجن قد استمعوا لتلاوتى للقرآن، فلما سمعوه قالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآنًا بديعًا فى بلاغته وفصاحته وحكمه وأحكامه وأخباره، هذه معانٍ عجيبة لا يقولها إلا الله رب العالمين.

الحديث الذى معنا، وهو حديث عبد الله بن مسعود ﷺ «من أراد أن يقرأ القرآن غضًا طريًا كما أنزل» كما أنزل مسألة جميلة جدا معناها أن هناك من أصحاب النبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) من تميزوا بالقرآن إلى حد أن قراءتهم لا تختلف، ولا تقل أبدًا عن قراءة سيدنا جبريل عليه السلام، جبريل جبر الله جل فى علاه به الرسالات؛ أقام به الرسالات، جبريل هذا مركب لفظى (جبر) و(ئيل)، فى اللغة الجبر هو الذى يجبر به، فكان جبريل عليه السلام يجبر الله تعالى به قلوب الأنبياء عندما تشتد بهم النوازل «لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين» ينزل فيجبر قلب النبى ﷺ، يقول: «ما الذى يحزنك؟ لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين» يقول له ﷺ بأن لا يفعل هم أهلى وإنى أدعو الله ﷻ أن يخرج من أقوامهم أو من ظهورهم من يعبدون الله ﷻ.

ما أجملك، وما أحلمك، وما أوصلك يا حبيب الله، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، أى فإن أعرض المشركون والمنافقون عن الإيمان بك - أيها الرسول- فقل لهم: حسبى الله، يكفينى جميع ما أهمَّنى، لا معبود بحق إلا هو، عليه اعتمدت، وإليه فَوَّضْتُ جميع أمورى؛ فإنه ناصرى ومعينى، وهو رب العرش العظيم، الذى هو أعظم المخلوقات.

«من أراد أن يقرأ القرآن غضًا طريًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » كما أنزل؟ أى كما تنزل به جبريل عليه السلام. ماذا كان يفعل أصحاب النبى (صلى الله عليه وعلى أصحابه الكرام) ؟

سور القرآن الكريم كالفاكهة بالضبط فإن التفاح له طعم، والخوخ له طعم، والبرتقال له طعم، كذلك سور القرآن الكريم فكل سورة لها طعم خاص، لها روحانية خاصة، لها جو إيمانى مختلف تمامًا " كما أنزل " أى كما تنزل به جبريل عليه السلام فإن صحابى واحد فقط هو الذى كان يقرؤه كما أنزل هو عبد الله بن مسعود ﷺ وهو أحد الأربعة الذين ذكرهم النبى (صلى الله عليه وعلى

صحبه الكرام)، أن تعلموا القرآن من هؤلاء، وذكر سالمَ مولى أبى حذيفة الذى تعايشنا معه، وقلنا: إن هذا الرجل نشأت حوله مشكلة، وهى مشكلة إرضاع الكبير، وقلنا: إنها حدث أو حادثة خاصة مع سالم مولى أبى حذيفة، وذكرنا الحديث الشريف الذى ورد بشأنه أن النبى ﷺ كان ينتظر السيدة عائشة، ولكنها تأخرت عليه بعد صلاة العشاء فقال لها: ما حبسك يا عائشة؟ فقالت له: كنت أستمع إلى صوت رجل ما سمعت صوتًا أحسن منه فذهب النبى ﷺ إلى مصدر الصوت فإذا هو سالم مولى أبى حذيفة فقال (صلى الله عليه وعلى صحبه الكرام): ذاك سالم «الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله».

إذًا عندنا قرآنيون: سالم مولى أبى حذيفة رضي الله عنه وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المتفقه بالقرآن المتبصر به، وعندنا معاذ بن جبل وهو أمة وحده، وعندنا أبىّ بن كعب رضي الله عنه حدث ولا حرج. إنى الآن أجمع بين أمرين سأقدم لكم حديثًا، وفى الوقت نفسه أتكلم عن العزيمة، من العزيمة أن أصحاب النبى الكرام كانوا إذا اجتمعوا فى مكان أى إذا جلسوا فى مكان أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن سواء كانوا فى سفر، فى ترحال، فى مسجد، ماذا يعملون؟ يتكلمون عن المباريات، عن الأسعار، عن المرتبات، عن الكادر الخاص، عن الكادر العام، عن السياسة، عن مجلس الشعب، عن الشورى، (لا)، عن ماذا يتكلمون؟ كان أصحاب النبى ﷺ إذا اجتمعوا أمّروا أحدهم بجعله أميرًا يقرأ عليهم سورة من القرآن.

هذا شىء جميل، شىء رائع أن نجلس فى مكان بعد أن انتهينا من أعمالنا، وأردنا أن نستريح أو اجتمعنا فى مكان فإننا نختار أحدنا سواء من الرجال أو من النساء ليقرأ سورة من القرآن العظيم. وليس الأمير فقط هو الذى يعطى قرارات، وإنما الأمير هو الذى قال عنه النبى ﷺ: «أشراف أمتى حملة القرآن» لابد أن تحب القرآن بالقرآن فتكون قرآنيًا عند الله، وتعرف بأنك واحد من أهل القرآن، وقد قال لى أحد الأشخاص: تجاوزت السبعين عامًا، وأتمنى أن أحفظ معك القرآن، لكن هذا صعب على، قلت له: ابدأ، واحفظ كل يوم آية

وصل بها وأقم بها حياتك الإيمانية، اتق الله تعالى ما استطعت فإذا لم تستطع فإن الله تعالى كتب لك أجر الحفظ، كيف لك والقرآن يناديك: يا فلان يا فلانة كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٤٠]، أى ولقد سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر، فهل مِن متعظ به؟

هناك آيات فى القرآن الكريم لا بد أن تَعْلَقَ بذهنك ساعة أن تسمعها لأول مرة وليس لك أن تنساها وليس لكِ أن تنسيها؛ لأنها تسكن إلى قلبك مباشرة كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، قل - أيها الرسول - لعبادى الذين تمادَوا فى المعاصى، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تيأسوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم.

من منا ينسى هذه الآية! لن تستطيع أن تنساها، وعندما تلقى الله تعالى يسألك بماذا جئتنى؟ تقول له: يا رب إنى أحفظ هذه الآية، وكانت تزلزلنى وقد عشت مع كلامك، عشت مع قرآنك، وكنت صادقًا مع الله ﷻ فإذا كنت صادقا مع الله ألهمك حفظ كتابه، إذًا كان أصحاب النبى ﷺ إذا اجتمعوا فى مكان ماذا كانوا يفعلون ؟ أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، أى اختاروا أميرًا بينهم يقرأ سورة من القرآن العظيم، فكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما «ذكرنا ربنا» أى ذكرنا بربنا، فيقرأ عنده أى يبدأ أبو موسى الأشعرى يقرأ ويقرأ وسيدنا عمر ﷺ يتفاعل، ويبكى. «ذكرنا ربنا يا أبا موسى» فيقرأ عنده، حتى جاء وقت الصلاة فيقال: يا أمير المؤمنين الصلاة، الصلاة فيقول: أولسنا فى الصلاة؟! نحن والحمد لله فى

الصلاة، فى ذكر، فى عبادة، أولسنا فى الصلاة ؟ إن الله تعالى يقول: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

اتل ما أُنزل إليك من هذا القرآن، واعمل به، وأدِّ الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع فى المعاصى والمنكرات؛ وذلك لأن المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها، يستنير قلبه، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته فى الخير، وتقل أو تنعدم رغبته فى الشر، ولَذكر الله فى الصلاة وغيرها أعظم وأكبر وأفضل من كل شىء. والله يعلم ما تصنعون مِن خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه.

و هذا كلام الله فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، إنَّا نحن نزَّلنا القرآن على النبى محمد ﷺ، وإنَّا نتعهد بحفظه مِن أن يُزاد فيه أو يُنْقَص منه، أو يضيع منه شىء. هذا ذكر يذكر به، هذا نور يملأ الكون كله «ذكرنا ربنا يا أبا موسى » أذكرك بماذا يا أمير المؤمنين ؟ بشأن العرب ؟

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ يبدأ سيدنا أبو موسى الأشعرى وكان قد أوتى مزمارًا من مزامير داود عليه السلام، يبدأ يشتغل، يتفاعل، يتغنى بالقرآن، ينطلق بالقرآن، يدوى القرآن فى قلبه، لابد أن يتاجر مع الله جل فى عُلاه. والذى لا يعرف أن يقرأ، والذى يقول: أنا جاهل أو أُمى ماذا أعمل؟ أولاً يستمع إلى قول الحبيب ﷺ «من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورًا يوم القيامة » .

حفظ القرآن الكريم واجب؟ نعم واجب إذا كنت قادرًا عليه، ومن لم يقدر فإنه يستمع «من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة» هذا حديث أخرجه الإمام أحمد من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

وقيل: إن فيه ضعفاً ولكن فيه معنى جميلاً، أى الحديث يبدو أنه ضعيف، ولكن نذكره من باب الحض أو الحث على حب القرآن الكريم وعلى تلاوته،

وإن كان الحديث فيه ضعف فإن المعنى واضح جميل وهو: لا تحرم نفسك من القرآن ولا أن تكون من أهل القرآن الذى يتسلسل إلى قلبك، والذى تعيش به فى قلبك، وتعيش مع نوره فى قلبك، وينطلق به صوتك، وينطلق به لسانك.

سبحان فالق الإصباح سبحان رب السماء والصباح
سبحان من يسبح له ما فى الأرض وما فى السماء
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.
اللهم لك الحمد حمدًا دائما عند كل طرفة عين وتنفس نفس
اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك
الحمد لله حمدًا يوافى نعمه ويكافئ مزيده.
اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها. وخير أيامنا يوم لقائك
اللهم لا تدعنا فى غمرة ولا تأخذنا على غرة ولا تجعلنا من الغافلين.

صلـــوات:

اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ صاحب التاج.
اللهم صل على صاحب المعراج.
اللهم صل على راكب النَّجيب.
اللهم صل على راكب البُراق.
اللهم صل على مخترق السَّبْع الطباق.
اللهم صل على الشفيع فى أمته.
اللهم صل على صاحب الشفاعة.
اللهم صل على صاحب الوسيلة.
اللهم صل على صاحب الفضيلة.
اللهم صل على صاحب الدرجة الرفيعة وعلى آله وصحبه وسلم.